

مفاهيم القرآن

(16) وما أخبر بقبحه فهو قبيح، ولكنّهم غفلوا عن أنّهم بإنكارهم قابلية العقل لا إدراك الحسن والقبح، أثبتوا عدم ثبوت الحسن والقبح مطلقاً حتى مع تصريح الشرع، وذلك لأنّهم إذا كان تمييز الحسن عن القبيح بيد الشرع دون العقل فإذا أخبر النبي - صلّى الله عليه وآله وسلم - بحسن شيء وقبحه، فمن أين نعلم أنّهم يصدق في أخباره ولا يكذب، والمفروض أنّ العقل عاجز عن درك حسن الآول وقبح الثاني؟ فلا يصحّ إثبات حسن شيء أو قبحه من خلال تصريح الشارع، إلّا أنّ يثبت قبلاً أنّ الصدق حسن والكذب قبيح، ويثبت أنّهم سبحانه نزيه عن فعل القبيح، ولولا هذان الأمران لذهب الأخبار بحسن الشيء أو قبحه سدى. *

الثالث: لولا التحسين العقلي لما ثبتت شريعة لو لم نقل بالتحسين والتقبيح العقليين يلزم عدم ثبوت شريعة من الشرائع السماوية، حتى تثبت بها شريعة تحكم بحسن شيء أو قبحه، وذلك لأنّ القائل بالتحسين والتقبيح العقليين، يقول : إنّ حكمته سبحانه تصدّقه عن تزويد الكاذب بالمعجزة، فلو ادّعى رجل النبوة من الله وأتى بمعجزة عجز الناس عن مباراته، فهي دليل على صدقه في دعوته. وأمّا إذا أنكرنا قدرة العقل واستطاعته على درك الحسن والقبح، لكان باب احتمال تزويد الكاذب بالمعجزة مفتوحاً على مصراعيه، وليس هنا دليل يردّ هذا الاحتمال فلا يحصل يقين بصدق دعواه. وهذه الأدلّة الثلاثة التي سردناها على وجه الإيجاز، تُشرف القارئ على القطع بأنّ العقل له المقدرة على درك الحسن والقبح. هذا كلّهم حول الدعوى الأولى.